الفصل الرابع

الجذور والمنابع للاستبداد والطغيان والفتن

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع

الجذور والمنابع للاستبداد والطغيان والفتن

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٣].

(٣٦) أسلحة الاستعمار القديم والجديد :

الحروب الاستعمارية تطورت وأصبحت الإمبريالية تستخدم (أسلحة) جديدة بدلاً من الأسلحة في حروبها الاستعمارية التقليدية . . . .

وسلاح (الفتن العصرية) تستخدمه القوى الكبرى الطامعة أضداد الشعوب المستضعفة أو الناشئة من أجل تمزيق وحدتها وتخريب اقتصادها حتى تضطر حكوماتها إلى الاستعانة بها ، واستجداء المعونات والقروض والمساعدات والأسلحة ، وتطلب منها بعض الحكومات الاستبدادية التدخل لحمايتها من خصومها أو معارضيها في الداخل ، أو جاراتها أو شقيقاتها الذين تخشاهم . . .

هذا التدخل يمكن الدول الإمبريالية من إنشاء قواعد عسكرية ، وزيادة نفوذها الاقتصادي والتجاري والثقافي مما يمكنها من السيطرة الكاملة على المجتمع الناشئ الذي تمزقه الفتن ويكون تدخلها برضاء حكومته وطلبها ، وأحياناً برضاء الشعوب أو بعض طبقاتها أو عناصرها أو طوائفها التي سئمت الفتنة أو الحرب الأهلية ويصبح العدو الأجنبي في عهد الاستعمار الجديد صديقاً وشريكاً وحليفاً لبعض الحكومات أو حامياً لبعض الطوائف ، بدلاً من أن يكون غازياً ومحتلاً كما كان في عهد الاستعمار القديم . .

***

إن سلاح (الفتن العصرية) أصبح في نظر القوى التوسعية الطامعة في عهد «الاستعمار الجديد» التي استخدمها الاستعمار القديم أفضل من الأسلحة التقليدية ؛ لأنه يعفيها من

الحملات العسكرية التي تؤدي إلى التضحية بدماء جنودها ، ويوفر لها ما تتكلفه من نفقات في الغزوات الاستعمارية بواسطة الجيوش ؛ ولذلك فإن صناعة هذا السلاح وتطوره لا تقل أهمية عن الصناعات الحربية الأخرى في عصرنا الحاضر . . . .

لا يجوز أن نتجاهل هذا التطور بل علينا أن نفكر في مواجهته بأساليب تتفق مع الظروف العالمية الحاضرة . . . .

إن الاستعمار القديم والجديد كلاهما ظاهرة عالمية اقتصادية ابتكرتها الدول الكبرى الصناعية الغنية لتزداد غنى عن طريق إرضاء الرأسمالية التي تمثلها الشركات الكبرى وتطلب من الدول الكبرى السيطرة على المواد الأولية والثروات التي تملكها الشعوب الأخرى الأقل قوة ، وما يقتضيه ذلك من هيمنة إمبريالية وقواعد عسكرية تمكنها من التحكم في طرق الاتصال والنقل .

ولذلك فإن مقاومته في العصر الحاضر يجب أن تستخدم فيها الأساليب المؤثرة في اقتصاديات الدول الغنية الطامعة وأهمها في نظرنا هو **المقاطعة الشعبية الاقتصادية من أجل البناء الذاتي** . . .

إن التجزئة المفروضة علينا مكنتهم الآن أن يذلوا شعوبنا واحداً بعد الآخر ، ويفرضوا على حكوماتنا المقاطعة الاقتصادية لأشقائنا وجيراننا الذين يرفضون هيمنتهم ، ويلزمونا بأن نساعدهم في محاصرة بلاد عربية أو إسلامية أو صديقة لنا بقصد تخريبها أو إبادة شعوبها ، فمن حقنا نحن استخدام المقاطعة الشعبية للتأثير في نفوذ وعوائد الشركات الكبرى والإمبريالية الباغية . . .

***

(٣٧) هدف الفتن إبادة بعض شعوبنا وتمزيق أمتنا :

منذ أن انهارت دولة الخلافة فإن أعداءنا يطمعون في مواصلة خططهم لتمزيق وحدتنا ، وإفساد مجتمعنا وإذلال شعوبنا ؛ بقصد منع كل محاولة لإعادة وحدتها والقضاء على كيانها وحرمانها من جميع أسباب القوة والبقاء ، حتى يتحكموا فيها ويستغلوا ثرواتها ويستقر سلطانهم على بلادنا دون مقاومة أو معارضة . .

وقد زين لهم شياطين البغي ممن يحتكرون الثروة أن يتخذوا الصهيونية حليفاً لهم؛ ترسم لهم الخطط، وتساعدهم في القضاء على مقومات أمتنا وإذلال شعوبنا، وأنشأوا لها دولة مكنوا لها في المنطقة وزودوها بجميع أسباب السيطرة حتى ينفذوا خططهم بواسطتها . . . .

ولما كانوا على يقين بأن شعوبنا ترفض الاستسلام لهذا المخطط الرهيب وتقاوم الاعتراف بهذه الدولة الدخيلة المصطنعة المفروضة في المنطقة، فإنهم يفرضون الاستسلام على بعض الحكام المستبدين مقابل مساعدتهم لهم في البقاء في مقاعد السلطة، وحرماننا من أن يكون لشعوبنا حرية تقرير مصيرها أو اختيار نظمها ومحاسبة من يستبدون بالأمر فيها، حتى إننا نراهم يساعدون كل من يتنكر لحقوق أمته ويتعاون مع أعدائها في تنفيذ سياستهم بالقوة والعنف، وتوسيع الفجوة بين الحكام وشعوبهم وذلك عن طريق إشعال الفتن التي تؤدي إلى القضاء على رصيد شعوبنا من القيم التي تحصن وجودها وتمدها بأسباب الحيوية والنهضة والتقدم والوحدة . . ومقاومة البغي والعدوان . .

لقد أصبح الهدف من فتنة شعوبنا في بعض البلاد هو إبادتها، وإذا كانوا يحاربون عقيدتنا وشريعتنا فذلك لأنهم يرون أن تحويل شعوبنا عن عقيدتها وشريعتها هو وسيلة لإضعافها أو لإبادتها . . . ولديهم وسائل أخرى . . .

فهم لا يكتفون بإبعاد شعوبنا عن عقيدتها وشريعتها ومقوماتها المعنوية الأصيلة بل إنهم يسعون لحرمانها من ثرواتها بالاستيلاء على منابعها وإفقار أفرادنا وشعوبنا بمحاصرتها ومقاطعتها حتى أصبح (الفقر) أكبر حليف لهم في تآمرهم وهجومهم على بلادنا . . وفي تنفيذ مخططاتهم لإفساد مجتمعاتنا والقضاء على مقوماتها العقيدية والمادية من أجل إبادتها أو السيطرة عليها . . . .

إنهم لا يكتفون بإبعاد شعوبنا وأفرادها عن المصادر الأصيلة للعقيدة والأخلاق الإسلامية، بل يحرصون على إفقارها مالياً واقتصادياً. ليحرموها من مصادر القوة ولكي يحتكروا المال والثروة وما تستحدثه التكنولوجيا المتطورة من أنواع السلاح

obeikandl.com

ووسائل الاتصال الفضائية، مثل الأقمار الصناعية وغيرها . . وتفقد شعوبنا بذلك مقومات القوة الذاتية والمقاومة والمناعة . . . .

***

إن الفتن المعاصرة . . تتعدد صورها وتتكاثر في بلادنا، ولا بد من التعمق في دراستها لكي نجد وسيلة للخروج منها . . وإذا أردنا مواجهتها والقضاء عليها فعلينا أن نسعى لاقتلاع جذورها، وإذا كانت أجهزة المخابرات والدبلوماسية والمنظمات الصهيونية هي التي تتولى تطويرها في الغالب إلا أن تمويلها تتولاه في نظري مصالح رأسمالية ومطامع اقتصادية للشركات الكبرى والمراكز الرأسمالية وفي مقدمتها الصهيونية . . . .

(٣٨) الفتن سلاح تموله القوى الرأسمالية المسيطرة على الشعوب الغنية :

إن الرأسمالية الجشعة الطامعة تبدأ أولاً بالسيطرة على الشعوب الصناعية المتقدمة وتستعمل أموالها للتأثير على من بيدهم مقاليد السلطة فيها فتسيطر عليهم وعلى المجتمع الرأسمالي نفسه فتغرقه في الفتن بين الطبقة الرأسمالية الجشعة والطبقة الكادحة المحرومة من العمال، وانتقال هذه الفتنة الداخلية في البلاد الصناعية هو الذي أدى إلى نشوء الحركات الشيوعية والاشتراكية في أوربا وآسيا . . . .

ثم إن هذه الرأسمالية الاستغلالية بعد أن تسيطر هي وعملاؤها على مقاليد السلطة في البلاد الصناعية تدفع حكوماتها الغنية إلي التوسع والغزو في الخارج لاحتلال المناطق التي تتوفر فيها المواد الخام الأولية التي تلزم لمصانعها، واحتلال طرق المواصلات التي تؤدي إلى تلك البلاد التي تتوفر فيها المواد الأولية والبلاد الأخرى التي تنشئ فيها قواعد للسيطرة على طرق المواصلات وتحولها جميعاً إلى أسواق لبيع منتجات مصانعها بأسعار عالية الأمر الذي يستلزم في نظرها القضاء على كل محاولات التصنيع والإنتاج في البلاد التي تطمع في أن تسيطر عليها حتى تبقى شعوبها فقيرة مستهلكة فقط أو عمالاً عاملين في إنتاج المواد الأولية .

كانت الإمبريالية في عهد الاستعمار القديم تستعمل الجيوش في الغزو والاحتلال، وهي الآن تستعمل المؤامرات السياسية لإفقار الشعوب وإبقاء أفرادها وطوائفها عاملة لمصالحها تستغل عمالها كما فعلت مع العمال الكادحين في البلاد الرأسمالية ذاتها، وقد لجأت أخيراً إلي أن تضيف إلي أسلحة الغزو والاستعمار التقليدي سلاح الفتن العصرية لتمزيق هذه الشعوب وإنهاكها في صراعات داخلية تمزق وحدتها وتزيدها فقراً وضعفاً . . . . وهذا السلاح الأخير سلاح «الفتن العصرية» هو موضوع بحثنا . . . . .

(٣٩) سلاح التحكم من بعد .. (البعد المكاني والبعد الزماني) :

من أهم مستحدثات التكنولوجيا الحديثة وسائل التحكم عن بعد التي أصبحوا يسيرون بها الصواريخ في الفضاء، ويتحكمون فيها من قواعد أرضية تفصلها عنهم آلاف وملايين الأميال، وصنع أسلحة الدمار الشامل.

***

نريد أن نذكر شعوبنا أنها «تخلفت» في هذا المجال، وأن أعداءنا قد توصلوا إلى استعمال «وسائل التحكم عن بعد» في صناعة «الفتن العصرية» وإشعال نارها في بلادنا دون أن تشعر جماهيرنا بذلك أو تحسب حسابه.

وأخطر من ذلك أن البعد الذي يتجاوزونه بوسائلهم الاستعمارية ليس فقط بعداً مكانياً بقياس الأميال، وإنما يشمل البعد الزماني، فما غرسوه من مراكز ثقافية أو تجارية منذ قرون عديدة يظهر أثره لصالحهم بعد أجيال وقرون دون أن يشعر بذلك من يتأثرون به سلباً أو إيجاباً، فالذين يشحنونهم بالثقافة الاستعمارية المستوردة، أو يرتبطون بالمصالح المالية معهم يصبحون أكبر أعوان لهم حتى دون أن يدركوا ذلك أو يشعروا به، وأبناؤهم وأحفادهم كذلك يكونون أكثر تبعية للقوى الأجنبية التي سيطرت عليهم ثقافياً أو مالياً، بل إنهم يصبحون العامل الفعال في «الفتن العصرية» ويتولون كِبْرها، وتكتفي الدول الأجنبية بدور المحرض والمشجع والمساعد لهم.

obeikandi.com

وهذا التحكم «عن بعد» يبدأ بفرض أفكار معينة وثقافة معينة في نفس الشخص ثم تمكينه من منصب أو مصلحة مالية أو وضع اجتماعي لا توفره له الأصالة في بلده، وقد عرفوا بتجربتهم أن ذلك يوجههم الوجهة التي يريدون ولو بعد حين أو أمد طويل، فالبعد ليس بعداً مكانياً، بل يصاحبه بعد زمني أخطر؛ لذلك سارت كثير من الدول الكبرى الاستعمارية على إقناع بعض الملوك والرؤساء أو طائفة من الأغنياء و النبلاء أو ذوي النفوذ، أو إلزامهم بإرسال أبنائهم ليتعلموا في بلادهم وفي مدارسهم وهم ما زالوا صغاراً؛ لأن التجربة أكدت لهم أن هذا النوع من الثقافة والتربية الأجنبية تجعلهم يفكرون كما يفكر أساتذتهم ومجتمعهم الأجنبي ويسيرون في اتجاه غير اتجاه شعوبهم ويدفعهم ذلك إلى احتقارها وعدم الاعتراف لها بحقوقها الإنسانية لأنها في نظرهم متخلفة تحتاج إلى وصاية «المتقدمين» عليها و«المتقدمون» هم القوى الأجنبية الطامعة على اختلاف نزعاتها، وهم كذلك يعتبرون أنفسهم من بين «المتقدمين» بسبب الانتماء الثقافي أو الارتباط بالأجانب بمصالح مالية واقتصادية أو ثقافية أو اجتماعية وبعضهم يتزوجون بالأجنبيات أو يرسلون أولادهم للخارج ليتعلموا، وقد لا يحسنون لغة بلادهم.. مما يدفعهم للانحياز للمجتمع الذي تعلموا فيه، بل والانحياز لتلك الشعوب الأجنبية كلما حدثت مشكلة بينهم وبين شعوبهم الأصيلة ويعتبرون أنفسهم ممثلين للقوى الأجنبية، وحلفاء ومؤيدين لها سراً إذا لم يستطيعوا إعلان ذلك لأسباب وقتية تكتيكية، أما من الناحية الاستراتيجية فهم في صفها حتى وإن لم يدركوا ذلك.

ولا يقتصر هذا على من يتعلمون في الخارج، بل إن الدول الغنية تحرض على إنشاء مدارس تابعة لها في بلادنا وفي جميع أنحاء العالم، وتلاميذ هذه المدارس لا يختلفون عن زملائهم الذين تسمموا بالثقافة الاستعمارية في الخارج الموجهة لصالح قوى الاستكبار العالمي.

***

إن الاستعمار قد خطط منذ زمن طويل لإيجاد نوع خاص من «المثقفين» ورجال الأعمال يضمن ولاءهم له كلهم أو أكثرهم، أو انتماءهم إليه، ويربطهم به بمنافع ومصالح ومطامع ذاتية، مثال ذلك أنه في البلاد التي كان يحكمها «الأجانب» كانوا يعينون في جميع «الوظائف» من العناصر المحلية هذا النوع من «المثقفين»، وكأن غيرهم ممن لا يتكلم لغة المستعمر «الأجنبي» يعتبر «أمياً» أو جاهلاً أو متخلفاً، حتى ولو كان ممن درسوا سنوات طويلة في معاهد «التعليم الأصلي» وجامعاته . . . .

وما زال في بعض صحفنا من يقصر وصف «المثقفين» على من هم أكثر انحيازاً للثقافة «العلمانية» أو أكثر بعداً أو عداء للثقافة «الإسلامية« أو «العربية» الأصيلة .

أما أصحاب المصالح المالية والاقتصادية فهم أكثر من هؤلاء انحيازاً للقوى التي يعتبرونها مصدر نفع لهم . . . .

إن العناصر التي وضعت «لبن» الثقافة الاستعمارية، أو ارتبطت مصالحها المالية والاقتصادية الذاتية بنفوذ القوى الأجنبية يعتقدون أن هذا النفوذ يفتح لهم باب الثراء والانتماء إلى البرجوازية، بل يصر كثير منهم على احتكار صفة «المثقفين» لهم دون غيرهم، أو صفة «أصحاب المصالح الاقتصادية » ويكون لهم نفوذ كبير في الحكومات التي تسلمت الإدارة في عهد الاستعمار أو عهد الاستقلال مما يهيئ لهم أسباب السيطرة على المجتمع في كثير من بلادنا أثناء الحكم «الأجنبي» وكذلك بعد «الاستقلال» ويعملون كل ما في وسعهم لمنع غيرهم من مزاحمتهم فيما لديهم من مزايا، ولو اقتضى الأمر معاونة النظم الموالية للقوى الأجنبية على فرض سيطرتها واحتكار السلطة ولو أدى ذلك إلى تزوير الانتخابات وممارسة أفظع أنواع البغي والفسق والفساد والقهر والاستبداد . . .

هذه هي الصورة التي نشاهدها في بعض الأقطار «المستقلة» التي يعتبر «الانقلابيون» فيها هدفهم مقاومة «التيار الإسلامي الأصيل»، بل وإبادة الأغلبية الشعبية التي تؤيده كما هو حادث الآن في بعض أقطارنا .

***

لو راجعت صحافتنا وإعلامنا المصري قبل «الجلاء» البريطاني لوجدت إجماعاً على التشهير بالتعليم الأجنبي والتبشيري، ولكن في عهد الاستقلال نجد أن بعض الوزراء والحكومات والأحزاب قد حولت حملة التشهير والعداء إلى «المدارس الإسلامية» بل يصفونها بأنها «وكر» لما يسمونه «ثقافة الإرهاب» كما تفعل إسرائيل حيث تعتبر كل الهيئات والمؤسسات الإسلامية الفلسطينية «إرهابية». فهم في الواقع قد اختاروا الاستسلام والتبعية للسياسة الصهيونية التي تهدف إلى وصف الثقافة الإسلامية بأنها «إرهابية» . . .

في بعض بلادنا نجد أن التعليم التبشيري والأجنبي قد أصبح يتمتع بامتيازات وحصانات لم يكن يحصل عليها في عهد الاحتلال الأجنبي لأن كثيراً من أصحاب السلطة والمسئولية هم الآن من المتخرجين من هذا النوع من المعاهد .

***

إن ما وصلنا إليه الآن قد يعتبره البعض سبباً لليأس أو التشاؤم، ولكني لا أرى ذلك؛ لأن هذه الطوائف التي انحازت للأعداء وتنكرت لأصالة شعوبنا وقيمها وعواطفها إنما تعمل الآن لمصالحها الذاتية الوقتية، ودفاعاً عن المكاسب التي وفرها لها هذا الانحياز، وكل ما هنالك أن القوى المعتدية إنما تستغل هذا الانحراف كما تستغل كل ما يوجد في مجتمعنا من عوامل الانحراف والضعف والفساد . .

لكن الذي ينتصر في النهاية هي إرادة الجماهير وصحوتها وأصالتها التي تردع كثيراً من هذه العناصر المضللة في الداخل، بل وفي الخارج أيضاً، وتدفعها للتراجع والعودة إلى الصواب . . ونرجو أن يكون ذلك قريباً إن شاء الله .

فنحن نراهن على قوة الجماهير الشعبية وصحوتها وصمودها الذي أقنع كثيراً ممن تزودوا بالثقافة الأجنبية أن يكونوا في مقدمة الصفوف المقاومة لخطط أعدائنا، وتتسلح بتضامنها مع جماهيرنا لكي تطعن المصالح المالية الجشعة

لأعدائنا في صميمها وجوهرها حتى يدفعها ذلك للهزيمة والاعتراف لأمتنا بحقوقها وأصالتها ووحدتها . . . . ولدينا أمثلة كثيرة على ذلك .

***

(٤٠) المقاومة والصمود والصبر . . سلاح الشعوب الناهضة :

من حسن الحظ أن الشعوب الأصيلة الحية تتصدى لشياطين الفساد والانحلال ، وترفض منطق دعاة الذلة والاستسلام والتبعية للأعداء المسيطرين ، وتقاوم سيطرة الدول الكبرى رغم أنها تعلم أنها أقوى منها عسكرياً واقتصادياً وسياسياً ، ولكن الشعوب الواثقة بقيمها الأصيلة تصر على الاعتزاز بشخصيتها ومبادئها وتدافع عن حريتها واستقلالها ، وتدخل في معركة طويلة مع القوى الكبرى الطامعة وحلفائها من عناصر الضعف الداخلي والذلة والاستسلام الذي يدعو له العملاء «محتكري السلطة والسيطرة» ، إن شعوبنا تبقى معتمدة على الله عز وجل الذي قال في كتابه العزيز: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

إن صبر الشعوب الصغيرة وصمودها يكفي لكي يحقق لها النصر ، لأن الزمن في صالحها ، فهي لا تسعى للقضاء على الدولة الكبرى المعتدية القوية ، ولا تحتاج لأن تلحق بها هزيمة ساحقة ، وإنما يكفي أن تصر على استمرار المقاومة والصمود إلى أن يأتي الأجل المحتوم لزوال الإمبراطوريات الظالمة ، **فينهار العدو من داخله** وتقضي عليه عوامل الفساد والانحلال التي استشرت في مجتمعه ، كما حدث أخيراً في الاتحاد السوفييتي وفي الإمبراطوريات الباغية السابقة طوال عصور التاريخ . . . .

***

إن الأقوياء الطامعين المعتدين لا يستطيعون أن يستمروا في خططهم العدوانية إلى الأبد ، وليس من الضروري أن تصيبهم هزيمة عسكرية أو سياسية إنهم قبل ذلك سوف يرون أن مشروعهم العدواني يكلفهم أكثر مما كانوا يتوقعون ، وأن الفائدة التي كانوا يريدون الحصول عليها من وراء هذا العدوان التوسعي أو الاستعماري أقل من الأعباء التي يتكلفونها لمواصلة عدوانهم إذا واصلت الشعوب مقاومتها لسياستهم ، وعند ذلك يتراجعون عن

خطط السيطرة الصريحة محاولين البحث عن وسائل أخرى أقل تكلفة ، كما حدث في الاتحاد السوفييتي عندما قرر الانسحاب من أفغانستان ، وكما حدث من فرنسا التي انسحبت من الجزائر وشمال إفريقيا بسبب المقاومة الجزائرية .

ولكن مازال كلاهما يبحث عن وسائل أخرى لفرض نفوذه بعد الاستقلال ، ومن أهم هذه الوسائل تدبير الفتن في داخل المجتمع الثائر عليهم المتحرر من سيطرتهم ليجعلوا هذه الفتن وسيلة لإضعافه وللحصول على منافع ومغانم عجزوا عن تحقيقها بالعدوان العسكري أو الاحتلال المباشر المعلن الذي جربوه وفشلوا فيه .

***

(٤١) خدعة العملية السلمية :

من المعروف أن الحرب خدعة ـ فكما أن حالة الحرب تجيز لكلا الطرفين القتل والقتال وغير ذلك من أنواع العنف ـ فإنها تجيز من باب أولى للمحاربين تضليل خصومهم وخداعهم حتى لا يعرفوا نوايا المهاجمين ولا خططهم . . ويمكنهم ذلك أن يأخذوهم على غرة ، ويكون النصر أسهل وأضمن إذا كان أحد الطرفين قد تخلى عن سلاحه واسترخى لأنه لا يعرف نية الطرف الآخر الحقيقية في محاربته ولا خطته في توقيت الهجوم ووسائله .

ومنذ أن قويت دول أوربا الاستعمارية إلى الآن ـ وهي تهاجم شعوبنا وتستعمل جميع أساليب الحرب وأسلحتها ضدنا ـ بما في ذلك أساليب الخداع والتضليل وتتفنن في تطوير الخداع والحيل والاستفادة منها .

وكثير منا نحن الضعفاء المهاجمون ما زال ينسى ذلك ، وتنطلي عليه الخدع والأكاذيب التي يروجها أعداؤنا . . . . ومن أهم الأكاذيب والخداع التي يستعملها أعداؤنا هو إيهامنا بأنهم أوقفوا عداءهم لنا أو أنهم صاروا أصدقاء أو شركاء أو حلفاء لنا ـ فنتخلى عن الحذر ونلقي سلاحنا ونركن إلى السلم في حين أن عدونا مستمر في عدوانه وتطوير أسلحته وتكديسها في غفلة منا وإعداد خطته لمزيد من العدوان علينا .

لقد حاول المستعمرون من قبل أن يقنعوا شعوبنا بنواياهم السلمية التي يدعونها كذباً ـ كأن يروجوا أنهم ما جاءوا إلى بلادنا مستعمرين بل جاءوا لتمدينها ـ أو تحريرها من حكام مستبدين ـ وما كان أكثرهم عندنا ـ أو أنهم جاءوا فقط لتأمين طريق المواصلات مع الهند أو غيرها من «ممتلكاتهم» في شرق آسيا . . لكن شعوبنا كانت ترفض هذه الحجج وتواصل مقاومتها كلما وجدت قادة يدعونها إلى الجهاد . . والدليل على ذلك هو الثورات المتعددة ضد الاحتلال الأجنبي نذكر منها ثورة عرابي في مصر، والمهديين في السودان، والأمير عبد القادر في الجزائر وعبد الكريم الخطابي في المغرب، والانتفاضة في سوريا ولبنان التي أدت إلى استقلالهما، وثورات الشعب الفلسطيني المتتابعة . . . الخ .

إن وجود طوائف ناشزة أو منشقة في مجتمعاتنا يسهل لأعدائنا التدخل في شؤوننا دائماً ـ ويمكنهم من استدراج بعض أفراد من هذه الطوائف وغيرهم من السذج ليكونوا عيونا وأعواناً لهم في تنفيذ خططهم وليحققوا أهدافهم دون أن يتكبدوا أي خسارة بل قد يستطيعون فرض سيطرتهم دون استعمال جيوشهم أو أسلحتهم التقليدية .

وقد تبين لهم أن استخدام سلاح «الفتن العصرية» هو أحسن وسيلة لتحقيق أهدافهم العدوانية دون إعلان حرب ـ أو دون خسائر تذكر ـ وتكون الخسائر كلها في جانب شعوبنا وبأيدي فريق منا ضد الفريق الآخر . . لذلك يسعون لكي يتورط كل فريق منا في إشعال نار الفتنة بإثارة طائفة أو طوائف أخرى ضد غيرها ـ سواء كانوا أقلية أو أغلبية .

إنني أدعو القارئ لدراسة عهد ملوك الطوائف في الأندلس حيث إن كثيراً من المتنافسين على السلطة كانوا يستعينون بالملوك الكاثوليك ضد خصومهم ولو كانوا من أقربائهم ومن أسرتهم، وانتهى ذلك بزوال جميع الدول العربية واقتلاع المسلمين جميعاً من الأندلس .

ومنذ أن شهدت منطقتنا الهجوم الاستعماري ـ أصبح كثير من الحكومات الاستبدادية والانقلابية يستعينون بالدول الأجنبية لقمع المقاومة الشعبية أو الثورات المطالبة بالحرية أو لمساعدتهم ضد جيرانهم ولو كانوا أشقاءهم ـ وأوضح مثال لذلك هو استعانة الخديوي توفيق بالإنجليز لقمع ثورة عرابي في مصر ـ واستعانة حكومة

obeikandi.com

مصر بالإنجليز أيضا لقمع ثورة المهدي في السودان ـ لكن ما يوصف في التاريخ بأنـه استعانة لم يكن في الواقع مبادرة تلقائية أو اختيارية ـ بل إنـها في كثير من الأحيان كانت مفروضة على مثل هؤلاء الحكام من القوي الأجنبية بواسطة أعوانها وعملائها .

وكثيراً ما كانت الدول الاستعمارية توهم بعض الحكام بأنها جاءت تحتل بلادهم لحماية عروشهم كما حدث عند فرض الحماية الفرنسية على تونس أولاً ثم على المغرب بعد ذلك . . والحماية الإنجليزية على مصر في بداية الحرب العالمية الأولى .

ولا تكتفي القوى الأجنبية بذلك بل إنها بدأت تشجع بعض الأحزاب أو الأشخاص على تدبير انقلاب ضد حكومة بلادهم وتعدهم بمساعدتهم في تنفيذ الانقلاب وفي بقائه بعد نجاحه . . لكن الطرفين يحرصان على إخفاء علاقة الانقلابيين بالقوى الأجنبية ولذلك فإن كثيرين لا يصدقون ما ينشر من حين لآخر عن دور بعض الدول الأجنبية في تدعيم الحركات الانقلابية في بلادنا لأن أول وسائل التدعيم هو تسخير الإعلام الأجنبي لتصوير الانقلاب على أنه حركة إصلاحية لأهداف داخلية ثورية وذلك ليضمن الحكم الانقلابي قدراً كبيراً من الدعم الأجنبي والتأييد الشعبي أو القبول به على الأقل في بداية عهده حتى يتمكن من السيطرة الكاملة .

ليس الأمر خاصاً بالنظم الانقلابية ـ بل قبل ذلك كانت بعض الحكومات الحزبية تقوم بدور خطير في صناعة الفتن العصرية الإقليمية بين أقطارنا وذلك لصالح القوى الأجنبية الرأسمالية والصهيونية التي تريد القضاء على من يقاومون أهدافها دون أن تعلن ذلك ـ فتوعز القوى الإمبريالية إلى الحكومة الوطنية أو أفراد منها بافتعال فتنة مع معارضيها واتهامهم بالإخلال بالأمن أو تدبير انقلاب وتبدأ القمع البوليسي ضدهم مما يؤدي إلى مقاومتهم للسلطة بأعمال العنف ويشن الإعلام حملة داخلية وخارجية هدفها تصوير المعركة بين الحكومة ومعارضيها بأنها خصومة داخلية أو صراع على السلطة بين فئتين من فئات الشعب ، وينسى الناس أن القوي الأجنبية هي التي أمرت بعض حكامنا بالقضاء على هيئة أو جماعة معينة ، أو محاصرة أقطارنا . ترى الإمبريالية أنها تعارض خططها أو أن قوتها تعطل تنفيذ سياستها في المنطقة .

ومن أمثلة الفتن العصرية التي صنعتها الإمبريالية تدخل الدول الأجنبية لدى الحكام العسكريين في إندونيسيا في عهد سوكارنو وسوهارتو لإفساح الطريق أمام المبشرين لمزاولة نشاطهم في الأقاليم والجزر النائية ومكنهم ذلك من تنصير عدد كبير من الفقراء والمحتاجين عن طريق توفير الغذاء والعناية الصحية لهم . . وهؤلاء المتنصرون أصبحوا طابورا خامسا يستخدمونه لإثارة الفتنة الانفصالية في بعض الجزر النائية وأولها تيمور الشرقية حيث قام عملاء المبشرين من المتنصرين بالمطالبة باستقلالها وتدخلت أستراليا وأمريكا والدول الغربية بحجة إعطائهم حق تقرير المصير وتدخلت هذه القوي الأجنبية في القضية زاعمين أنهم جاءوا لتمكين جزء من الشعب الإندونيسي لتقرير مصيره وضغطوا على الحكومة الإندونيسية المركزية حتى قبلت الاستفتاء علي الحكم الذاتي وقامت هيئة الأمم بتحويله إلي استفتاء علي الاستقلال وزيفوا هذا الاستفتاء باستبعاد العناصر التي ترفض المشاركة فيه .

لقد تدخلوا لفصل تيمور الشرقية عن إندونيسيا ولا شك أنهم ينوون تكرار المسرحية نفسها في مناطق أخرى في إندونيسيا وفي غيرها .

وتصريحات أمريكا بالنسبة للانفصاليين في جنوب السودان تؤكد أنهم يريدون تكرار هذه العملية هناك بل وفي الصحراء المغربية كذلك .

وفي حين أن كشمير صدر قرار من مجلس الأمن في الأمم المتحدة في حق تقرير المصير منذ أكثر من خمسين عاما ولا زالت تحتلها الهند حتى الآن ولم تتدخل الأمم المتحدة أو أي من الدول الكبرى لتنفيذ قرار مجلس الأمن الذي يعطي للكشميريين حق تقرير المصير ولم نسمع من الإعلام العالمي والقوى الأمريكية أي إشارة إلي حق الكشميريين في تقرير مصيرهم ولا يتكلمون عن حق تقرير المصير إلا في تيمور الشرقية وجنوب السودان .

وهناك نماذج عديدة من «الفتن العصرية» في منطقتنا ، نرجو أن يستطيع الجيل القادم دراستها على ضوء ما نقدمه في هذا البحث .

obeikandi.com

(٤٢) جذور الفتن في مجتمعاتنا :

إن الفتن الداخلية ليست جديدة في العالم الإسلامي، بل هي داء قديم ومرض عضال منذ عهد الفتنة الكبرى، عقب مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، واستمرت آثارها ومظاهرها المتكررة طوال عهود تاريخنا الإسلامي، وقد آن الأوان للعمل الجدي لاستئصال جذور هذا الداء والقضاء على أعراضه وآثاره.

وقد جاء الإسلام ليوحد البشرية، فأنشأ أمة عظيمة منسجمة موحدة رغم تنوع أعراقها وتقاليدها التاريخية، لكن الشعوب التي تكونت منها أمتنا بقيت فيها رواسب من الجاهليات والتقاليد السابقة على الرسالة المحمدية، وهذه الرواسب هي التي نشأت منها بذور هذه الفتن الداخلية الشعوبية. يؤكد ذلك حالات الردة التي بدأت مظاهرها في حياة الرسول الأمين ثم تفاقمت بسبب وفاته، ولم يقض عليها إلا حزم الخليفة الأول أبي بكر الصديق وتضحيات الشهداء وكثير منهم كان من حفاظ القرآن الكريم، وتلا ذلك اغتيال الخليفة الثاني ثم الثالث على يد بعض سكان «الأمصار» الذين جاءوا من فارس أولاً ثم من مصر والعراق. وقاتل الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان فارسياً، هو «أبو لؤلؤة المجوسي». وقَتْلُ الخليفة عثمان بن عفان في المدينة المنورة كان على يد وفود جاءت من الأمصار، وقاتل الخليفة الرابع أمير المؤمنين علي بن أبى طالب كان من الخوارج الذين بدأت حركتهم في فارس والعراق، فكانوا يمثلون رواسب الجاهلية العربية والفارسية، ثم أن مقتله هو الذي مكن معاوية من تحويل الخلافة الراشدة إلى ملك كسروي عضوض، وبقي هذا الانحراف وتوالت مظاهره إلى أن زالت الدولة الإسلامية العثمانية . . .

لكن الفتن التي نواجهها اليوم تختلف عن جميع الفتن الداخلية في تاريخنا؛ لأن محركها وموجهها والمستفيد منها حالياً هو قوى أجنبية لها أهداف إمبريالية لاحتكار الثروة والسيطرة العالمية، وهي تعتبر أن نهضة الأمة الإسلامية ووحدتها عقبة في سبيل تحقيق مطامعها، لذلك ترسم الخطط وتدبر المؤامرات لإشعال نار «الفتن العصرية» في بلادنا لكي تمزق بها الشعوب الإسلامية وتشغلها عن العمل الجدي لمواصلة نهضتها واسترداد وحدتها وقوتها، بل تضطر بعض طوائفها في بعض الأحيان إلى الاستنجاد بها وطلب العون والمساعدة منها . . .

إن القوى المعادية لأمتنا تعلم أن الفتن الداخلية في عالمنا الإسلامي هي التي أضعفته في الماضي وحطمت وحدته، ومكنتها في عهد الغزو الاستعماري التقليدي من تحقيق هدفها وهو تحطيم الدولة العثمانية، بعد أن مكنتها قبل عدة قرون من استلاب الأندلس، بسبب الفتن بين ملوك الطوائف، إنها استفادت من داء الفرقة الذي سبب الضعف ومكنها من التغلب على أقطارنا واحداً بعد الآخر ولذلك تعمل دائما على بقائه وعلى عدم تغلبنا على أسبابه .

ومنذ أن احتلت أغلب أقطارنا جعلت هدفها استمرار الفتن وزيادتها، واستطاعت أن تبتكر الأساليب التي تشعل بها فتناً عصرية وآخرها فتنة احتكار السلطة والاستبداد باسم الديمقراطية اللادينية الزائفة . . .

لقد تعرضت شعوبنا ـ خلال عصور طويلة من تاريخها ـ لظلم من الحكام المستبدين من أبنائها الذين فرضوا سلطانهم بالقهر والسيف، وتولوا الحكم بغير طريق الشورى الحرة التي فرضها الإسلام واحتكروا السلطة بطريق الوراثة في أسرة واحدة، لكن فتنة احتكار السلطة لم تكن في الماضي شاملة لما يسمونه الآن سلطة التشريع . بل وقفت عند حد الاستيلاء على السلطة التنفيذية بالقوة والغلب، ولم يدَّعِ الحكام المستبدون خلال تاريخنا الإسلامي الطويل أن لهم الحق في إصدار قانون وضعي أو في إصدار دستور يعطل الشريعة، أو أن لهم سلطة تشريعية تجيز لهم إصدار قوانين ظالمة أو دساتير زائفة تعطي لحكمهم «شرعية وضعية» تمكنهم من اتهام من يقاومونهم بأنهم جماعات «غير شرعية» . . .

لقد كان مبدأ سيادة الشريعة مستقراً في مجتمعنا في جميع أقاليم العالم الإسلامي طوال عصور تاريخنا الإسلامي رغم وقوع مخالفات كثيرة لبعض أحكامها . . وخاصة فيما يتعلق بولاية السلطة .

أما اليوم فإن الطغاة المستبدين الذين تؤيدهم قوة أجنبية وتمدهم بالقوة والمساعدات يبتكرون أساليب دستورية و«قانونية» لاحتكار السلطة وممارسة ما يدعونه لأنفسهم من سلطة التشريع التي لا تمنحها لهم شريعتنا، فيصدرون قوانين ودساتير وضعية ظالمة سيئة السمعة تحرم الشعوب والأفراد من حرياتهم وحقوقهم

وتعطل مبادئ شريعتنا وتنكر أصولها، وتشجعهم على ذلك قوى أجنبية إمبريالية تدفعهم لإعلان التبرؤ من الشريعة، ومحاربة أصول العقيدة، وتفرض عليهم ذلك في بعض الأحيان وتشجعهم على محاربة من يدعون للإسلام الصحيح وأصوله ومبادئه الخالدة، رغم أن الأغلبية الشعبية تؤيدهم، بل يلجأ بعضهم إلى اتخاذ قوانينهم ودساتيرهم الوضعية أداة لإقصاء الأغلبية الشعبية عن ميدان السياسة والسلطة ليحتكروها هم وأعوانهم من دعاة اللادينية باسم «الديمقراطية» المزيفة ويستعينون بمروجي الفساد والإلحاد باسم «الليبرالية»، ويحتجون لذلك بالديمقراطية التي يزيفونها بأساليب الغدر والغش كتزوير الانتخابات واصطناع أحزاب مصطنعة أو مستأنسة تدعي كذباً لنفسها الأغلبية «الشرعية». وتتجرأ على محاربة عقائد الشعب ومقدساته ومن يمثلون إرادته الصامدة ورغبته المعلنة للتمسك بالإسلام وشريعته. ويرفعون شعارات الليبرالية الزائفة التي تعني في نظرهم التنكر لجميع القيم الدينية والأخلاقية التي تحول دون الفساد والانحلال...

***

(٤٣) دور القوى الأجنبية والتستر عليه:

إن فتنة احتكار السلطة هي مأزق حقيقي يحتاج إلى تفكير طويل وتدبير محكم لنستطيع إخراج شعوبنا منها، ذلك أنه من الواضح أن العامل الفعال والمدبر لها هو قوى عالمية استطاعت الآن أن تتحد لتفرض سيطرتها على شعوبنا وشعوب العالم الأخرى بوساطة منظمات دولية ومؤسسات عالمية، تصفها بأنها «شرعية دولية» أو «مجتمع دولي» تتخذه أداة فعالة للتدخل في شؤوننا المالية والاقتصادية والسياسية، وتفرض علينا قرارات ظالمة جائرة، وتستخدم هيمنتها العالمية لمحاصرة شعوبنا واحداً بعد الآخر لإخضاعها لإرادتها ونزع سلاحها وإفقارها وتحطيم اقتصادها، وتخريب ميزانيتها وإذلال حكوماتنا ودولنا عن طريق تكبيلها بالقروض الربوية التي تجعلها خاضعة للدائنين سواءً كانوا من الدول الكبرى الحاكمة المستبدة أو المؤسسات المالية الدولية التي تسيطر عليها القوى الصهيونية والإمبريالية، حتى أصبحت بعض النظم المستبدة مضطرة لأن تعلن خضوعها لهذه القوى الطامعة وتستجدي تأييدها وتدفع الشعوب التي تقاومها في أتون الفتن إرضاء لها...

إن بعض الحكومات الاستبدادية أصبحت تتخذ شعار مقاومة الأصولية أو الإرهاب ذريعة للقضاء على كل القوى الحية بإصدار تشريعات فاسدة سيئة السمعة، وفرض قوانين جائرة تطلق العنان للفساد الإداري والتسيب الأخلاقي الذي يمكنهم من نهب ثروات الأمة وانتهاك حرمات الأفراد وحقوقهم الإنسانية، بحجة القضاء على العنف أو محاربة «الإرهاب».

وبعض هذه النظم يعلم يقيناً أن كثيراً من الحوادث الإرهابية تدبرها مخابرات أجنبية وينفذها عملاء للصهيونية، ولكنها تصر على وصف هؤلاء العملاء بأنهم إسلاميون متطرفون وهم يعلمون أن أجهزة التآمر الأجنبي تتعمد جعل عملاءها يتنكرون في ملابس وطنية، بل إن بعضهم من الخونة يأخذون صورة إسلامية وزياً إسلامياً بقصد إشعال الفتنة بين الإسلاميين والحكام وبين المسلمين والأقباط والأجانب. . .

وإذا كانت بعض العناصر المحلية تنخدع بذلك، فإن الحكومات يجب عليها أن تعلن ما تكتشفه من دلائل على تورط القوى الأجنبية والعناصر غير الإسلامية من عملاء القوى الأجنبية في هذه الحوادث الإرهابية، ولكن مما يؤسف له أن بعضها يكتم ذلك عن مواطنيها ويخفيه حتى عن أجهزة إعلامها التي تواصل اتهام الإسلاميين بالإرهاب للإيقاع بينهم وبين الجماهير، وفي سبيل هذا الغرض الحزبي يخفون عن الرأي العام دور القوى الأجنبية في هذه العمليات الإجرامية ويتركون الباب مفتوحاً أمامها لمواصلة هذه الاعتداءات والمؤامرات.

ومما يؤسف له أيضاً أنه إذا اضطرت بعض الدعايات الحزبية إلى الإشارة إلى القوى الأجنبية المتورطة في الأعمال الإرهابية، فإنهم لا يذكرون القوى الصهيونية أو مخابرات الدول الكبرى، وإنما يتعمدون صرف الرأي العام عن ذلك بتوجيه الاتهام إلى دول عربية أو إسلامية مجاورة، وبذلك يحققون للقوى الأجنبية هدفا آخر لإشعال فتن إقليمية بين الدول العربية والإسلامية إلى جانب الفتن بين العناصر المختلفة في داخل كل قطر على حده.

❋❋❋

obeikandi.com

يكفي أن نذكر شاهداً على ذلك ما أثبته القضاء اللبناني من تدبير عملاء إسرائيل للعدوان على كنيسة (سيدة النجاة) قرب بيروت مستخدمين عناصر مارونية بقصد إلصاق التهمة بالمسلمين وإشعال الفتنة والحرب الأهلية في لبنان، ورغم أن تحقيقات كثيرة قد أشارت إلى أن الاعتداء على دير المحرق في مصر وعلى السواح في الأقصر هو نموذج آخر للتآمر الإسرائيلي، إلا أن الإعلام الرسمي لم يشر لذلك ويحاول تجاهله ليستمر في تغذية الدعايات الرسمية ضد الجماعات الإسلامية المعارضة، وهو يعلم أنهم لم يرتكبوا هذه الحوادث وأنه من تدبير قوى أجنبية مثل الاعتداء على كنيسة (سيدة النجاة) في لبنان، وكلهما جاءت عقب مذبحة الخليل التي ارتكبها الصهيونيون وكان الهدف منها صرف الأنظار عن فظاعة الإجرام الصهيوني وعن علاقة الجهات الرسمية الإسرائيلية به، وشغل العالم عنه بأنباء الحرب الأهلية في لبنان، والفتنة الطائفية في مصر، وقد دبرت المخابرات الإسرائيلية هذين الحادثين لإشعال نارهما، وساعدهم في ذلك استخدام الإعلام لاتهام المسلمين ظلماً وعدواناً.

ولقد تكررت هذه المحاولات في تونس للإيقاع بالفلسطينيين والإسلاميين، ثم في المغرب حيث ألقيت قنابل في أحد الفنادق للإيقاع بين الحكومة والإسلاميين هناك، لكن الحكومة المغربية أعلنت بوسائل متكررة أن العدوان الذي وقع في مراكش دبر في الخارج ولم يكن للإسلاميين المغاربة دور فيه.

❋ ❋ ❋

يؤسفنا أن نذكر لبعض النظم بأن التستر على ما ترتكبه العناصر التابعة للمخابرات الصهيونية، أو بعض العناصر من بقايا طوائف الاستعمار القديم يمكن هذه العناصر من مواصلة تنفيذ مؤامراتها ذات الأهداف البعيدة المدى في غفلة من الجمهور والحكام أنفسهم.

إننا لا حظنا أن وسائل الإعلام الرسمي في الجزائر مثلاً تتجاهل ما ارتكبه عملاء الموساد والصهيونية أو طوائف المستعمرين الذين يسمون ذوي الأقدام السوداء، مع أن كثيرين لاحظوا أن الأجهزة الحكومية ضبطت في مناسبات متعددة

سفناً تحمل أسلحة إسرائيلية في موانئ الجزائر، ولكن الإعلام أسدل الستار على ذلك.

كما يقال أن جماعات من ذوي الأقدام السوداء هي التي دبرت كثيراً من مذابح القرويين الذين يزرعون الأرض التي صودرت منهم عقب الاستقلال، وذلك تمهيداً لعودتهم للمطالبة بها بعد إبادة الفلاحين الذين سلمتها لهم الحكومة الجزائرية، ويقال أيضاً أن فئة من الأوساط الفرنسية تحاول إقناع بعض المسئولين الجزائريين لتمكينهم من الحصول على الجنسية الجزائرية لكي يصبحوا جزائريين ويواصلوا تدخلهم في الشئون الجزائرية من داخل النظام الانقلابي بدلاً من الاكتفاء بتدعيمه من الخارج الآن بواسطة المساعدات المالية والعسكرية والإعلامية.

(٤٤) خطط الإصلاح الذاتي والنهضة الشاملة:

إننا الآن نواجه خططاً معادية مبنية على أسس علمية وسياسية وتجارب تاريخية تنفذها أجهزة ضخمة لها إمكانيات فكرية وسياسية ومالية ودولية وحكومية، ورغم ذلك فإن مجتمعاتنا الوطنية مازالت تضم دولاً متخاصمة وحكومات متنافسة ونظماً استبدادية، وتنظيمات وهيئات متعددة ومتنوعة ومتفرقة، مما يجعل موقفها يزداد ضعفاً في حين أن أعداءنا يزدادون اتحاداً وقوة ونفوذاً، فلا بد لنا من تخطيط علمي وعمل جاد وجهاد شاق وإستراتيجية طويلة المدى لإصلاح مجتمعاتنا أولاً وبنائها اقتصادياً وسياسياً، معتمدين على أنفسنا متسلحين بتضامننا وقيمنا الأصيلة ومقوماتنا الذاتية.

❋ ❋ ❋

إن الذين يظلمون الناس ويبغون عليهم ويستبدون بهم ويستغلونهم هم مفسدون في الأرض بلا شك، لكن موضوعنا في هذا البحث لم يكن مقصوراً على ذلك لأن «البغي والاستبداد والطغيان» والفتن التي نواجهها الآن **والجريمة التي نواجهها ليست فقط من عمل العنصرية الصهيونية أو الإمبريالية الاستعمارية الأجنبية. بل سبقها فساد داخلي أدى إلى تعطيل الشورى وتزييف الديمقراطية**

والليبرالية واتخاذها مبرراً للاحتكار والبغي من جانب بعض العناصر أو الحكام أو النظم «الوطنية».

❋ ❋ ❋

(٤٥) تزييف الديمقراطية :

هناك عدوان على شعوبنا وأمتنا بلا شك ، لكن العدوان الأكبر في عالمنا المعاصر يقع على الديمقراطية «والليبرالية» ذاتها ، وهو الغش المتمثل في تزييف شعاراتها التي كانت تحظى لدى الشعوب بثقة كبيرة حتى صارت في بعض البلاد هي الأمل الذي تسعى إليه الشعوب وتعتبره طريق النجاة من الاستبداد والطغيان ، فحوله الطغاة المستغلون إلى ستار ووسيلة لبغيهم ولاستبدادهم وطغيانهم . . . .

والذين يزيفون «الديمقراطية» لا يتورعون عن تزييف الليبرالية أو «الشورى» .

من حسن حظنا أن المستبدين خلال عصور ناريخنا الإسلامي لم يرفعوا هذه الشعارات الزائفة ولم يحاولوا اتخاذها وسيلة لاستبدادهم مكتفين بتعطيل الشورى وإحلال السيف والعنف والقتل بدلاً منها ، فهم لم يجنوا عليها ، ولم يزيفوها ، وإنما جنوا على أنفسهم وعلى شعوبهم ، أما أصول الشورى في القرآن والسنة فقد بقيت طاهرة نقية من التزييف .

لكن تعطيل الشورى في الدول الإسلامية أعطى لفقهاء السلاطين فرصة لتبرير هذا التعطيل بإطلاق القول بأن الشورى غير ملزمة وتجاهلوا التفرقة بين الشورى والاستشارة حتى أصبح من السهل على بعض النظم أن تصف الاستشارة والمشورة بأنها «شورى» لا يلتزمون بها في حين أن المستبدين القدماء لم يكونوا يدعون أن من يستشيرونهم قد اختارتهم الأمة بانتخابات مزورة أو أنها فوضت لهم حقها في الرقابة على الحكام . بل كانوا يعلنون صراحة أنهم هم الذين يختارون من يستشيرونهم ، ومن يعينون في مجالسهم الشورية . . .

❋ ❋ ❋

إن المستبدين القدماء كانوا لا يلتزمون بالشورى ، لكنهم على الأقل كان لديهم قدر كاف من الأمانة والشجاعة عندما يعلن سلاطينهم أنهم يختارون من

يستشيرونهم فهم يكتفون بمجرد استشارة تتيح لذوي السلطان طريقاً لانتقاء من يستشيرونهم ممن لا يمثلون الشعوب والجماهير وإقصاء عامة الناس وجماهيرهم بذلك عن حقهم في أن يكون الأمر شورى كما فرضه القرآن الكريم. إن هذه استشارة وليست شورى، وقد كان أول موضوع في كتابنا «فقه الشورى» هو ضرورة التفرقة الواضحة بين الشورى والاستشارة.

***

إننا نصر على أن تكون الشورى هي الأساس في نظمنا السياسية، ونحن نقصد بذلك المبدأ الشرعي الذي يعطى للجماعة وحدها حقها في أن يكون الأمر فيها شورى، أي بقرارات جماعية ملزمة حتى لا يحتكر السلطة فرد أو جماعة يختارون أعوانهم ومستشاريهم الذين يمهدون لهم سبيل احتكار الأمر والقرار وإقصاء الجماهير والعامة أو من يمثلونهم عن مجال القرار السياسي بمبررأت مصطنعة أو مبتكرة ومستوردة من الخارج كما يفعل الآن من يريدون إقصاء التيار الإسلامي في بعض أقطارنا.

...... «الشورى» التي فرضها القرآن، والتي ندافع عنها ونلتزم بها، هي التي تلتزم بمبادئ شريعتنا وأصولها، وفي مقدمتها حرية الفكر والرأي وحق كل إنسان في ممارسة الشورى أي المشاركة في الحوار بحرية كاملة على أساس المساواة الإنسانية دون إقصاء أو انتقاء. وحق الشعوب في أن تختار بحرية كاملة من يمثلونها في اتخاذ القرارات المصيرية بالشورى وبذلك تستمد الشورى أصولها الثابتة من الشريعة المقدسة التي لا يجوز لبشر أن يعبث بها أو يخرج عن مبادئها وأصولها....

إن التنظيم السياسي القائم على الشورى الشرعية لا يجوز أن يكون مقصوراً على القواعد التي تبين الجهة التي تتولى السلطة، كما يذهب إليه كثيرون ممن يعتبرون الديمقراطية تتحقق بمجرد وصول الأغلبية للسلطة واحتكارها لها، وإن الأغلبية تمارس السيادة أي السلطة التي لا حدود لها، أي أنها وحدها هي التي تضع القواعد والدساتير التي توزع السلطة وترسم حدود الحريات والحقوق الإنسانية وتستطيع بذلك أن تقصي بعض الطوائف سواء كانت أغلبية أو أقلية، وتحرمها من حقوقها الإنسانية والسياسية بإصدار نصوص وضعية في قوانين أو دساتير لا تتقيد

بأصول سماوية ثابتة معروفة مقدما تلتزم بما تفرضه شريعتنا من حريات ومساواة في الحقوق الإنسانية الفطرية التي لا يجوز تجاهلها أو احتكارها لفرد أو مجموعة من البشر دون سواهم ، وحرمان غيرهم منها بحجة الإقصاء.

❋❋❋

ثم إن النظام السياسي يجب أن يستند إلى نظام اجتماعي تضامني يقوم على مبادئ الشورى التي تحمي حرية الأفراد وحقوقهم المقدسة والعدالة والمساواة بينهم في حرية الفكر والمشاركة في أمور الجماعة بالشورى التي تكون قراراتها ملزمة للجميع.

وقاعدة التنظيم الاجتماعي في الإسلام تستند إلى أصول عقيدية إلهية ثابتة، وتضامن وتكافل تفرضه الشريعة السماوية. ؛ وتكون مبادئها هي الضمانة الحقيقية لحقوق الإنسان وحرياته في النظام الاجتماعي والسياسي، ويكون لهذه النظم جذورها المستمدة من الإيمان بالله وشريعته التي تأبى أن تصل بمن يمارسون السلطة ويحتكرونها إلى حد التأله أو الاستكبار الذي يصل إلى نوع من الشرك وفتنة السلطة التي لا حدود إلهية لها. . . .

إن فتنة «الديمقراطية»، إنما هي نتيجة فصل الديمقراطية عن الشورى والشريعة بحجة إعطائها طابعا لا دينيا تحت ستار «العلمانية والليبرالية». إن الشورى منهج اجتماعي شامل نابع من شريعتنا؛ لذلك لا يغني عنه أي شعار آخر، والديمقراطية يمكن أن تكون مكملاً لها وجزءا منها، ولكن لا يجوز أن تكون بديلاً عنها بقصد تجاهل منابعها الإسلامية، إننا نريد أن تكون الديمقراطية العصرية الصحيحة مكملاً لها، والشورى في حاجة حقيقية لهذه التكملة بسبب تعطلها في المجال السياسي زمناً طويلاً في عصور تاريخنا بعد عهد الخلفاء الراشدين.

❋❋❋

(٤٦) منهجنا الاجتماعي احترام حرية الأفراد وحقوق الجماعة .

. . . . . منهجنا الاجتماعي هو الالتزام بمبادئ الشريعة، وأولها احترام ما تكفله للفرد والجماعة من حرية الإرادة والاختيار وحرية الفكر، وذلك يستلزم القضاء على كل أساليب القهر والعنف والغش في فترة الحوار والتشاور وما يتصل بذلك في النظم النيابية من انتخابات حرة لاختيار أهل الحل والعقد، واستبعاد كل ما

يفسد إرادة الأفراد والجماهير أو يعطل حقها في اختيار نظمها وتعيين من يمثلونها ومحاسبتهم والرقابة عليهم.

هذه هي نقطة البدء في إصلاح المجتمع والفرد والنظم السياسية والاجتماعية ومن المؤكد أن الذين يريدون استبعاد الإسلام من ساحة العمل السياسي إنما يريدون في الواقع استبعاد هذه المبادئ الأصيلة التي تفرضها الشريعة لضمان احترام حرية الأفراد وحرية اختيار الشعوب لمثليها وحكامها ومحاسبتهم . . .

وإذا كان البعض يستغل شعارات الديمقراطية الزائفة ؛ لإحداث فتن في كثير من أقطارنا ، وفرض تدابير ظالمة لإقصاء التيار الإسلامي عن مجال العمل السياسي ، فإن ذلك معناه حرمان الجماهير من حقها في اختيار من يمثلونها كلما ظهر اتجاهها لتأييد هذا التيار كما حدث في الجزائر وغيرها ، فإن شعوبنا ترفض هذه الشعارات الكاذبة التي يستخدمونها لذلك حتى ولو وصفوها بأنها دفاع عن الديمقراطية ، وهذا الرفض الشعبي حق مقدس لها ؛ لأنها تعتبر هذه الشعارات أداة لحرمانها من حرية الإرادة وحق الاختيار . . .

❋❋❋

لسنا ممن تخدعهم الشعارات التي يقصد بها استبعاد مبادئ شريعتنا ، فالشريعة هي أساس الإصلاح ومنهاجه ولا نقبل إعطاء أي شعار سياسي مضموناً يتعارض مع التزامه بسيادة الشريعة والخضوع لمبادئها وأصولها ؛ لأن هذا هو باب «الفتن».

(٤٧) التكامل ضروري بين الشورى والديمقراطية الصحيحة .

في كتابنا عن «الشورى أعلى مراتب الديمقراطية» دعونا للتكامل بين الشورى والديمقراطية على أساس مبادئ الشريعة التي تلتزم بها الشورى بحكم منابعها ؛ ولذلك فإنها هي الأصل والأساس ؛ لأنها هي الأعم والأشمل والأكثر مرونة وخصوبة ؛ ولأن ما دخل على الديمقراطية من تطوير قد وصل في بعض البلاد إلى درجة فتحت فيها أبواب احتكار السلطة وإقصاء الأغلبية المسلمة وفرض حزب مصطنع يدعي لنفسه الأغلبية بالتزوير والتزييف ، وتفرغ الديمقراطية المزعومة من جوهرها وهو سيادة الشعوب حتى أصبحنا نرى شعاراتها أكبر ستار لنظم البغي والغدر والطغيان والحكم الاستبدادي الشمولي في كثير من البلاد . . . .

❋❋❋

كذلك لا يكفي لتطبيق الديمقراطية في بلادنا أن نغير اسمها ونصفها بأنها شورى ونسمي المجالس الزائفة بأنها مجالس شورى. بل لا بد من أن تقوم على الأسس الشرعية للشورى الإسلامية، وأول هذه الأسس التزامها بمبادئ الشريعة وعدم فصلها عنها، ومن أصول شريعتنا التي نعتز بها أن المخاطب بالشريعة هو الأمة وأفرادها، وأن الشعوب في كل قطر من أقطارنا وحكامها يستمدون سلطاتهم من قرار جماهير الأمة وإرادة الأغلبية، واختيارها الحر لمن ينوبون عنها ومحاسبة من يتولون السلطة . . .

إنني ممن يؤمنون بأن هذه الأمة باقية رغم المحن التي تتعرض لها الآن. وأن علينا أن نبحث عمّا يجب عمله لإخراجها من هذه الفتن العصرية، وأن تصويرنا لواقع الفتن في بلادنا لا يعني مطلقا أننا ممن يئسوا من المستقبل أو ممن يشجعون غيرهم على اليأس والإحباط بل إننا على العكس من ذلك نؤمن بقدرة شعوبنا على تجاوز هذه المخاطر وحتمية خروجها من هذه الفتن، بل أكثر من ذلك فإننا نؤمن بأن هناك أسلوبا واحداً يفتح لأمتنا طريق النجاة والنهضة والقوة، ويمكنها من القيام بدورها الرائد في الحضارة الإنسانية، ومستقبل العالم وهو الشورى الحرة والحوار الشامل دون إقصاء . . .

في رأينا أن جماهير شعوبنا تتمتع بفطرة نقية رسمت لها طريق النهضة، وقد سارت فيه فعلا عدة أشواط، لكن ما يزال أمامها طريق طويل للجهاد بعزم وتصميم متواصل لبلوغ الغاية التي تمكنها من النهوض لأداء رسالتها الحضارية في مستقبل الإنسانية إتماما لما قامت به من قبل (خلال عصور طويلة في تاريخنا المجيد) من إسهام عظيم في بناء الحضارة.

إن طريق النهضة قد بدأته أمتنا بالاعتماد على نفسها والثقة بذاتها وإمكاناتها، وسوف تواصل السير على هذا الأساس وهي تعلم أنه ليس أمامها طريق آخر، لأن كل ما عدا ذلك يؤدي إلى الخضوع للقوى الأجنبية والتخلي عن دورها الحضاري ورسالتها كأمة وسط متميزة، وتوسطها بين الأمم معناه تعاونها مع الشعوب الأخرى في كل ما تفرضه قيمنا الأصيلة ومبادئنا الإنسانية الأساسية، لكن أصالتنا لا تسمح لنا أن نذوب في تيارات أخرى معادية لأمتنا مناهضة لعقائدنا، وناقضة لمقوماتها وأصولها؛ لأن هذا يعد في نظرها صورة من صور الفناء التي لا تستطيع شعوبنا أن تقبلها أو تستسلم لها.

❊ ❊ ❊

obeikandi.com

(٤٨) أقلية تتنكر لإرادة شعوبنا :

صحيح أنه يوجد عندنا أفراد ساروا في طريق «التبعية» للقوى الأجنبية مخدوعين، راضين أو مكرهين مضطرين. في كل أمة فئات ضالة أو مضللة، هم غثاء كغثاء السيل، وفيها طفيليات تعيش على ما تنهشه مما حولها، ولا نلوم أعداءنا إذا استغلوا هذه الأقلية لتحقق لهم أهدافهم وتنفذ خططهم، وهي تعلم أنهم لا يمثلون شعوبهم ولا يعبرون عن إرادتها، لكنها تتخذهم ستاراً لتستدرج القوى الحية إلى «فتن عصرية» تصرفها عن العمل البناء الذي يهدد نفوذهم وسيطرتهم. فلا يجوز لنا أن نقع في هذا الشرك، ونبدد طاقتنا في فتن مصطنعة تشعل نارها هذه الفئات العميلة، ويدبرها أعداؤنا لاستنزاف قوانا وإهدار دماء مواطنينا.

إن هؤلاء عليهم أن يسارعوا إلى السير في طريق المصالحة مع الذات. أو بالأصح مع أصالة ذاتهم وذات شعوبهم، ونعني بالذات احترام مجموع المقومات الأصيلة لأمتنا التي لا تقبل شعوبنا التحول عنها، ولا نقبل التخلي أو التنكر لها، وقد ثبت أن كل أساليب العنف والحصار والقهر والغش التي توجه لها إنما تدفعها إلى مزيد من التشبث بذاتها والتطلع إلى أصالتها، والاعتماد على نفسها والاعتزاز بمقوماتها، ثم إن هؤلاء الذين ساروا في غير هذا الاتجاه سوف يكونون حتماً مضطرين إلى اللحاق بشعوبهم في طريق الأصالة. وكلما كان ذلك مبكراً كان أصلح لهم في نظر أمتهم وتاريخهم، بل ومستقبلهم إذا كانوا يفكرون في المستقبل...

إن الإصرار على التنكر لإرادة جماهير شعوبنا المؤمنة أو تحديها، لا يمكن أن يستمر طويلاً؛ لأنه سيؤدي بمن يمارسون هذا البغي والغدر إلى ما يمكن اعتباره انفصام الشخصية، وهي حالة مرضية تجعل أصحابها غير صالحين للسير في طريق واضح وثابت وإذا كانوا الآن يفخرون بما تزودهم به بعض القوى الأجنبية من وسائل السيطرة أو الثروة أو ما إليها، فإن هذه القوى ذاتها سوف تستغني عن خدماتهم وتضرب بعضهم ببعض، بل وتضربهم عندما تشعر أن دورهم قد انتهى، أو أنهم لم يعودوا صالحين لأداء الدور الذي تطلبه منهم....

ثم إنها هي على كل حال في نظرنا ليست قوى خالدة. وما تتمتع به الآن مما يسمونه هيمنة عالمية لا يمكن أن تستمر للأبد، لأن سنة التغيير في الكون تأبى ذلك، وقد بدأت نذر الانهيار والفساد تظهر في مجتمعاتهم ويتحدث عنها فلاسفتها ومفكروها وخاصة بعد انهيار الشيوعية والاتحاد السوفيتي، ونظمه الاشتراكية القهرية.

❋ ❋ ❋

لذلك فإننا نوجه حديثنا إلى عامة شعوبنا وجماهيرنا المؤمنة بأصالتها المتسلحة بالاعتماد على نفسها لمواجهة المستقبل الذي يمكنها إن شاء الله من القضاء على أسباب الفتن ومؤامرات الأعداء ومظاهر التخلف والتخاذل والضعف الذي مكن أعداءنا من السيطرة على بلادنا.

إنني أدعو أصحاب الفكر الأصيل للسير في منهج عملي تدريجي لاسترداد زمام المبادرة ومواصلة السير بشعوبنا في طريق النهضة والتقدم واجتياز العقبات التي تعترضها والتي وصلت بنا إلى واقع الفتن بالصورة التي رسمناها فيما سبق.

إننا دعونا غيرنا للتصالح مع أصالة شعوبهم، ولكن يجب أن نبادر نحن أيضاً إلى التصالح مع الواقع الذي يسميه فقهاؤنا ظروف الزمان والمكان التي يجب أخذها بالاعتبار في كل ما يدخل في باب الاجتهادات البشرية، وعلينا لذلك أن نستفيد من منجزات النظم الديمقراطية وتجاربها، وأن نقصر عداءنا على من يزيفونها ويزورونها من الفلاسفة والمنافقين والحكام....

إن خطتنا العملية للخروج من الفتنة يجب إذن أن تبدأ بعلاج الواقع الذي نواجهه سواء كانت عيوبه ناتجة عن تقصيرنا أو تخلفنا أو مفروضة علينا من قوى خارجية عالمية أو ظروف تاريخية....

❋ ❋ ❋

(٤٩) الجانب السلبي في واقعنا والجانب الايجابي:

في هذا الواقع أمران، أحدهما سلبي والآخر إيجابي:

لا شك أن شعوبنا تجتاز مرحلة تخلف وفقر وتجزئة مكنت القوى الأجنبية من فرض سيطرتها على شعوبنا ودولنا وحكامنا، فخطتنا للعمل الجدي لا يمكن أن

تتجاهل هذه الحال وعلينا أن نبدأ بعلاج أسبابها، أي العمل الجدي للخروج من حالة التخلف والفقر والقضاء على التجزئة والفتن بجميع أنواعها .

مقابل ذلك **يوجد عنصر إيجابي أصيل** هو أن أمتنا الكبيرة التي أنشأها الإسلام منذ فجر الرسالة قد زودها القرآن العظيم بوحدة عقيدية وتشريعية وثقافية عليها أن توظفها لبناء مستقبلها كأمة كبرى موحدة متضامنة مجاهدة قادرة على النهوض والتجديد والخروج من هذه المحنة التي تجتازها .

كما أن البغي علينا إنما تدبره وتمارسه عناصر مترفة من المستكبرين الاحتكاريين في الدول الكبرى تستغل شعوبها أولاً، وتفسدها وتستعملها لتنفيذ خططها التوسعية ضد الشعوب المستضعفة بوسائل الغش والتضليل الإعلامي الذي تسيطر عليه بما لديها من إمكانات مالية وسياسية «للصهيونية دور كبير فيها»، فجماهير هذه الشعوب الكبرى الأجنبية مستغلة أيضاً ومضللة مثل شعوبنا تماماً؛ ولذلك فإنها في النهاية سوف تثور عليهم وتكون حليفة لنا في مقاومة المستكبرين الذين يستغلونها كما يستغلوننا . . . **

إن الواقع السلبي إنما نواجهه في بداية الطريق وعلينا أن نتغلب عليه؛ لأنه وضع عارض مؤقت، أما العنصر الإيجابي فهو دائم وباق وثابت منذ فجر الإسلام، وهو يزودنا بالطاقة التي تدفعنا إلى الغاية المثلى التي يجب أن نسير نحوها متسلحين بالتضامن والوحدة لنحقق النصر إن شاء الله .

إن المعركة التي نواجهها هي معركة الصبر والثبات، والزمن أكبر حليف لنا فيها؛ لأن أعداءنا يعلمون جيدا أن سنة الكون توجب التغيير، وتفرض زوال الأقوياء الذين يأكلهم الترف والفساد الاجتماعي الناتج عنه، وهم يسعون لكي نذوب في مجتمعاتهم ونلقى مصيرهم وننهار بانهيارهم. ولكن عقيدتنا وشريعتنا تزودنا بحصانة تحول دون هذا الاندماج والتبعية .

فعلينا أن نسير بخطى وئيدة وثابتة متضامنين في الدفاع عن أصالتنا ومقوماتنا وشخصيتنا ولا نسمح لهم بأن يستدرجونا إلى معارك أو فتن يقضون بها على كل

** والأمثلة القريبة هي ثورة الشعوب الغربية في أمريكا وأوربا ضد مؤتمرات العولمة ـ دافوس . . .

obeikandl.com

شعب من شعوبنا منفرداً، علينا أن نصبر على جميع الاستفزازات، ونقاوم جميع الفتن والهجمات حتى تتم وحدتنا ويشتد عودنا، وعندما تصل مجتمعاتهم إلى مصيرها المحتوم، وتنهار من داخلها لينتهي عمرها الافتراضي الذي قدره الله عز وجل، فإننا نأمل أن نكون نحن في ذلك الوقت صامدين صالحين لقيادة البشرية وإنقاذها حسبما تقضي به سنة الكون في تداول الأيام بين الناس.

❋❋❋

إن الواقع قد كشف لنا أن العناصر التي تحتكر السلطة في بعض أقطارنا تتحدى إرادة الأمة وتهاجم شريعتنا وعقيدتنا، وتوجهها وتشجعها قوى أجنبية هي أيضاً محتكرة للسلطة مسيطرة ومستغلة لشعوبها؛ ولذلك لم تتردد في إعلان تأييدها مراراً لسياسة القهر والغدر التي يسير فيها من اغتصبوا السلطة في بعض أقطارنا، ورضوا أن ينفذوا خطط أعدائنا وسياستهم المعادية للإسلام تقرباً إلى الإمبريالية وطلباً لمساعداتها المالية والسياسية والعسكرية لكن الجهاد والمقاومة الأساسية يجب في نظرنا أن توجه للقوى الإمبريالية الاستغلالية الرأسمالية الاحتكارية ذاتها؛ لأن ذلك سيقنعها بأن مصلحتها توجب عليها أن تقبل التعايش مع أمتنا في ظل سلام عادل واحترام متبادل، وتوقن أنها لن تنجح في تحويل شعوبنا عن طريق نهضتها وعزتها.

إن هذه القوى الأجنبية هي أيضاً عناصر مستكبرة محتكرة في بلادها، وهي مغرورة الآن بما حققته من سيطرة عالمية واحتكار السلطة في بعض الدول الكبرى، وتريد استغلال ذلك للقضاء على حيوية أمتنا وتشتيت قواها بالفتن العصرية وهي تعلم أن الإسلام هو المنبع الذي تستمد منه ثقتها بنفسها ومستقبلها ومستقبل الإنسانية كلها، وأن من يرفعون هذا الشعار ويدعون للجهاد من أجله هم دعاة الصحوة التي تزود أمتنا بالعزيمة والطاقة التي تمكنها من الصمود والكفاح والسير قدماً في طريق بناء وحدتها وقوتها لا لصالحها فقط، بل لصالح الإنسانية كلها....

❋❋❋

هناك قوى إمبريالية احتكارية أجنبية تسعى لاستغلال جميع إمكاناتها لعزل شعوبنا عن أصولها الإسلامية مستغلة في ذلك أساليب الغش الإعلامي، والخداع

السياسي والتآمر والغدر، وتساعد كل من تسول له نفسه بالسير في هذا الطريق، بل إنها تمنحه شهادة بأنه يدافع عما تسميه «الديمقراطية» وهي تعلم أنه يسلك طريق البغي والاستبداد، بل تشجعه على استعمال كل أدوات القمع والقهر الوحشي، مضافا إليها أساليب الغش والغدر بتزوير الانتخابات وإبعاد العقيدة والخلق والنزاهة التي تفرضها الشريعة من ميدان السياسة والحكم بحجة فصل «الدين» عن «السياسة» حتى يبقى ميدان العمل السياسي حكرا للمنافقين والمفسدين في الأرض، الذين لا يلتزمون بأمانة ولا شريعة ولا خلق، ولا دين ولا عقيدة، إنها تدفع جميع عناصر الشر والفساد لعزل القوى الحية في الأمة وإقصاء جماهيرنا المؤمنة وحرمانها من حرية التعبير، وتعطيل حقها في الاختيار والتصرف في شئونها، لتواصل القوى الأجنبية تنفيذ خططها لاستنزاف ثرواتنا والسيطرة على شعوبنا وتعطيل مقاومتها وإبادة كل من يفكرون في الجهاد من أجل تحريرها ووحدتها ومستقبلها.

(٥٠) المثل الأعلى السامي، والواقع الاجتماعي السيء :

الإسلام هو خاتم الرسالات السماوية، لأنه أعد الإنسانية لتبليغ رشدها وأوجب عليها أن تتحمل مسئوليات بناء مجتمعاتها وإصلاح أحوالها باجتهادها، وبيَّن لها المثل العليا والمبادئ الإلهية السامية التي تسترشد بها في هذا الاجتهاد .

ومع ذلك فقد صرَّح القرآن بأن الله سبحانه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولكنه سبحانه قد استخلفهم في الأرض ليبتليهم فيعلم الصالحين ويجزيهم خير الجزاء في الحياة الباقية الأخروية .

ومن أهم أسباب الابتلاء لعباد الله الصالحين هو تصديهم لمواجهة عدوان الظالمين والمفسدين عليهم، ولذلك شرع الله لهم أن يقاوموا هذا العدوان بمثله أو ما يكفي لردعه، وقد قال تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ .

وقال شوقي في همزيته الشهيرة في مدح رسولنا الكريم :-

الحرب في حق لديك شريعة   ومن السموم الناقعات دواء

وكل أمة تقدم على العدوان تحاول ابتكار أساليب وأسلحة لا يتوقعها المعتدى عليهم ليفاجئوهم بها ويضمنوا بذلك كسب الحرب بأقل مجهود .

❋ ❋ ❋

كان هدفنا في هذا البحث أن نبين لشعوبنا أن أعداءنا يستخدمون سلاحاً «عصرياً» لإضعاف أمتنا وضمان النصر علينا بأقل خسائر من جانبهم وهذا السلاح هو السعي لإشعال نار الفتن في مجتمعاتنا على أن يصوروها على أنها مجرد فتن داخلية أو إقليمية في حين أنهم هم الذين يدبرونها وينفقون عليها ويعملون لاستمرارها ويجنون هم ثمارها . .

وعلينا الآن أن نبحث عن الكيفية التي نرى أنه يمكن لشعوبنا بها أن يقضوا على هذه الفتن ويتغلبوا عليها . . وإبراز العوامل الموروثة التي تسبب الفتن والجهات التي تستفيد منها وتعمل لاستمرارها وزيادة آثارها . .

ولكي نستطيع استنباط خطتنا للقضاء عليها والخروج من دائرتها يجب الآن أن نبدأ أولاً بتتبع منابع أسبابها الجاهلية لكي نستطيع أن نقتلع جذورها .

إن هذه الدراسة التاريخية توجب علينا أن نرجع إلى بداية «الفتن الداخلية» وبالذات تلك الفتنة الكبرى التي أدت إلى اغتيال الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ، واستئثار معاوية والأمويين بالسلطة وإقامة نظام سياسي «كسروي» وصفه أسلافنا بأنه ملك «عضوض» . . لأنه يفرض سلطة مطلقة للحكام المتغلبين بالقوة والعصبية ، مما عطّل الشورى التي قامت عليها الخلافة الراشدة ، وشق المجتمع إلى شطرين أحدهما يحتكر سلطة الدولة وأجهزتها التنفيذية ، والثاني هو جمهور الأمة التي تعتز بالإيمان بالله والالتزام بشريعته والدفاع عن سيادتها واستقلالها بقدر ما استطاعت ذلك . .

وقع هذا الانفصال بين الأمة وشريعتها من جهة ، والدولة وأجهزة القمع فيها وأحكامها «السلطانية» التي تتحدى الأحكام الشرعية وتخرج عن نطاقها من جهة أخرى وهذا الانفصال هو منبع جميع الفتن التي بدأت داخلية في العهد الإسلامي ، ثم تحولت إلى فتن «عصرية» ، هي موضوع دراستنا وقد قلنا إن مساوئها تجاوزت آثار

النظم الاستبدادية الكسروية القديمة ووصلت بنا إلى تغول الدولة وطغيان نظمها الشمولية التي تحاول القضاء على أصالة الأمة وزعزعة كيانها . .

❋❋❋

الفتن في نظر كثيرين ظواهر سياسية إلا أنها في نظرنا كثيراً ما تكون نتيجة لعوامل اجتماعية وثقافية لها جذور تاريخية تؤدي إلى شق المجتمع وتمزق نسيج وحدته عندما يواجه خلافات سياسية أو مطامع فردية أو منافسات اقتصادية أو نفعية . .

والفتن التي ظهرت في العالم الإسلامي لم تنبت من فراغ، ولم تكن ظواهر عارضة، بل إنها نشأت من التصادم بين مجتمع المدينة الذي أنشأه الإسلام وأسَّسه على الشورى التي فرضها القرآن وبين مجتمعات «الأمصار» في الشام ومصر وفارس والعراق، والتي عاشت جميع عصور تاريخها قبل الإسلام لا تعرف إلا نظم حكم ملوكية استبدادية وراثية، ولم تعرف الشورى ولم تتح لها الفرصة لاستيعاب المبادئ الاجتماعية والسياسية للإسلام، وكانت هي الأكثر عدداً وأوسع إقليماً مما جعل تقاليدها في النظم السياسية الجاهلية تفرض نفسها على المجتمع وتقضي على منهج الشورى والمساواة الذي قامت عليه الخلافة الراشدة.

لقد شرع الإسلام الشورى كقاعدة لمجتمعنا ومثلا أعلى تلتزم به لكي تذوب الخلافات في ساحة الحوار الحر والتشاور المتبادل المتصل الذي يشارك فيه الجميع على أساس المساواة العادلة التي جعلها الرسول الكريم أول مبادئ الميثاق الختامي الذي أعلنه في خطبة الوداع حين قال «أيها الناس إن إلهكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب» وبذلك حرَّم الاستكبار الذي هو أكبر داء يهدد المجتمعات الإنسانية وحرَّم الاحتكار الذي هو أكبر خطر على تضامن المجتمع ويدفع طبقاته وطوائفه إلى الصراع والفتن .

لذلك فإن تعطيل الشورى والمساواة كان في نظرنا واقعاً اجتماعياً وتاريخياً نعتبره منبع الفتن في مجتمعنا منذ فجر الإسلام، والتي استمرت تشق المجتمع خلال جميع عصور تاريخنا بعد عهد الخلفاء الراشدين الذي لم يطل أكثر من ثلاثين عاماً، وأن رواسب الجاهلية الأولى التي بقيت في كثير من شعوب الأمصار التي اتسعت لها

الأمة الإسلامية وانضمت إليها وكانت لها الأغلبية دون أن تهضم أصول الشورى والمساواة الإسلامية ومناهجها التي شرعها القرآن ومارسها مجتمع المدينة في عهد الصحابة . .

❋ ❋ ❋

إنني أرى أن الوقت قد حان لكي نعيد قراءة تاريخ مجتمعاتنا وواقعها وتطورها منذ ذلك التاريخ لكي نتتبع أسباب الشقاق التي نتجت عن هذه الثغرة وهى تعطيل الشورى والمساواة في المجتمع الإسلامي بعد عهد الخلفاء الراشدين ، وأوجدت واقعاً يختلف عن المثل العليا التي فرضها الإسلام . .

(٥١) عقيدة التوحيد بداية التحرر والتغيير الاجتماعي :ـ

إن المسلمين اهتموا أولاً بترسيخ عقيدة التوحيد والإيمان بالله وكتبه ورسله وباليوم الآخر وهذه العقيدة هي محور شريعة الإسلام ومركز كل أحكامه ونظمه ، والقرآن في العهد المكي ركز على هذا الموضوع وكانت كل آياته وسوره التي أنزلت بمكة خلال الثلاثة عشرَ عاماً الأولى في عهد الرسالة تدور حول إقناع الناس بعقيدة التوحيد والإيمان بالله وبالبعث والنشور والحساب يوم القيامة ومقاومة عقائد الوثنية والشرك . . .

إن المسلمين كان هدفهم الأول هو توضيح هذه العقيدة وإحلالها محل الوثنيات التي فرضتها الملوكيات الاستبدادية السابقة ويشهد بذلك ما قاله مبعوث جيش المسلمين إلى قائد الفرس ، عندما سأله : لماذا جئتم إلى بلادنا ؟ ، فقال له (إننا جئنا لنخرج الناس من عبادة البشر إلى عبادة رب العباد الله الواحد القهار) .

❋ ❋ ❋

نعتقد أن الإسلام نجح نجاحاً كبيراً في نشر هذه العقيدة ، عقيدة التوحيد ، وإقناع الناس بها حتى صارت اليوم عقيدة عالمية لا يمكن لأحد أن يتحداها ، وتم ذلك لا بالفتح وإنما بالإقناع والاختيار ، لأن مبدأ التسامح الإسلامي فرض على المسلمين أنه لا إكراه في الدين ، وألا يلزموا الشعوب التي فتحوا بلادها بتغيير عقيدتهم ونتج عن ذلك أن بقيت الأغلبية من المصريين والشوام والفرس على دياناتهم القديمة فترة

طويلة بل أجيالاً متعاقبة في إطار الدولة الإسلامية حتى ظهرت لهم أهمية العقيدة واقتنعوا بها تدريجياً وأقبلوا على الإسلام طائعين مختارين، ويذكر لنا التاريخ أن بعض الولاة والأمراء ضاق بذلك واشتكى من إقبال الناس على الإسلام لأنه يقلل مواردهم من الجزية، ولكن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز كتب إليه يؤنبه ويقول له (إن الله سبحانه وتعالى بعث رسوله هادياً لا جابياً).

لا شك أننا يجب أن نعترف بأن الخطوة الأولى التي أتمها الصحابة في الإصلاح الإسلامي لهذه المجتمعات كانت خطوة جبارة وهي تحرير عرب الجزيرة من الوثنية والقضاء على الإمبراطوريات الجاهلية التي حرمت الشعوب المجاورة لهم من حرية الاختيار، ونجحوا في تحرير تلك الشعوب جميعها وفتح الطريق أمام الناس الذين عاشوا في ظل الوثنيات والجاهليات القديمة في جزيرة العرب وما حولها لكي يقبلوا على عقيدة التوحيد والإيمان بالله واليوم الآخر وما يلي ذلك من التزامات في العبادات والمعاملات والخضوع للشريعة وأحكامها طائعين مختارين .

❋❋❋

لكن لا ننسى أن هذه الشعوب التي دخلت الإسلام حملت إلى مجتمعنا مزايا حضاراتها القديمة وكذلك كثيراً من عيوبها وسيئاتها التي ورثتها من الوثنية والجاهلية الطويلة ـ وكان أول تلك العيوب أنهم لا يعرفون إلا الحكم الاستبدادي الوراثي، وقد أشرت إلى الحادثة التي رواها المؤرخون عن أن سيدنا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين عندما زار الشام لاستلام القدس، بيت المقدس، وكتابة عهد إلى سكانها من المسيحيين باحترام عباداتهم وعقائدهم وكنائسهم وصلبانهم وما إلى ذلك، فوجئ لما زار دمشق بما رآه من مظاهر أبهة الملك الجاهلي في بلاط عامله على الشام معاوية بن أبي سفيان ، ويروي المؤرخون أنه قال له: أكسروية يا معاوية؟ . أي أرى أنك أدخلت في الإسلام نظاما في الحكم يماثل ما سار عليه الأكاسرة وأمثالهم من القياصرة والفراعنة من مظاهر الملك والسطوة والسلطة وما إليها، فما كان جواب معاوية الذكي إلا أنه قال له: ـ **يا أمير المؤمنين إن هؤلاء لا يعرفون إلا هذا**، وإذا لم

نفعل ذلك فإنهم لن يسمعوا لنا ولن يحترمونا، ومع ذلك يا أمير المؤمنين فأنا تحت أمرك إن شئت أن أغيّر هذا فإنني سوف أطيعك. فقال له عمر (رضي الله عنه): الذي كان جوابه أكثر ذكاء وحكمة: لا آمرك ولا أنهاك!.

وفي نظرنا أنه تركه ليفكر وأعطى لنفسه الفرصة لكي يرسم خطته لمواجهة هذه الحالة وما يجب أن يصدره من أوامر لعماله في تلك الأمصار وعاد إلى بلاده، ولكن رواسب الجاهلية لم تمهله، بل أرسلت له من يقتله في المسجد في عقر داره وهو أبو لؤلؤة المجوسي الفارسي، قبل أن يصدر ما توصل إليه من أوامر إلى ولاته ليبين لهم ما يجب أن يفعلوه لتطهير النفوس من هذه الموروثات التي ما زالت تعشش وتسيطر على المجتمعات في الأمصار المفتوحة في عصره.

❋ ❋ ❋

الحوار الذي أشرت إليه بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وعامله معاوية عندما زار دمشق يوضح لنا أن معاوية أقر له بأنه انتهج خطة «كسروية» مجاراة لتقاليد تلك الشعوب، وذلك خشية من تمردهم عليه إذا لم يفعل ذلك، وأن الخليفة العبقري عمر بن الخطاب لم يسارع باتخاذ قرار، بل آثر أن يفكر ويعد خطة لمواجهة هذه التقاليد الجاهلية التي لا تعرف شعوب الأمصار غيرها.. لكن الجاهلية لم تمهله لكي يفعل ذلك بل اغتالته..

تقشف عمر شجع المتآمرين لاغتياله :ـ

وقد قرأت في قصيدة حافظ إبراهيم (العمرية) ما يؤكد أن تقشف عمر بن الخطاب ورفضه كل مظاهر الملك الكسروي واطمئنانه إلى أن الإسلام لا يقرها، قد كان أمراً معروفاً ذاع أمره وانتشر خبره خصوصاً بعد أن جاء رسول من بلاط ملك الفرس يحمل رسالة من كسرى شاهنشاه العجم، ولما سأل عن أمير المؤمنين وبحث عن بلاطه، لم يجد له قصراً ولا قلعة ولا سوراً يحتمي به من غدر أعدائه، بل وجده نائماً في ظل شجرة في الطريق بلا حرس ولا حاشية تحيط به، وعبَّر عن ذلك شاعر النيل بهذه الأبيات التي لا زلت أحفظها :

وراع صاحب كسرى أن رأى عمراً ... بين الرعية عطلاً وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أن لها ... سوراً من الجند والحراس يحميها

فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملاً ... ببردة كاد طول العهد يبليها
فهان في عينيه ما كان يكبره ... من الأكاسر والدنيا بأيديها
وقال قولة حق أصبحت مثلاً ... وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها
أمنت لما أقمت العدل بينهم ... فنمت نوم قرير العين هانيها

***

هذا هو ما رآه سفير ملك الفرس وهذا هو ما قاله كما رواه شاعرنا، ولا شك أن هذا القول قد انتشر وعلم به الناس في جميع أقطار الإمبراطورية فاستغله الحاقدون المتآمرون ووجهوا له من اغتاله في المسجد وهو يصلي بالناس.

وكذلك وقع اغتيال الخليفة الثالث ذو النورين عثمان بن عفان والخليفة الرابع أمير المؤمنين على بن أبى طالب، لأن هؤلاء الراشدين لم يجاروا تقاليد الفراعنة والأكاسرة والقياصرة في سكن القصور والاحتماء بالأسوار والحراس التي تعودها أهالي الأمصار في جاهليتهم . .

نجاح النظام الكسروي :-

أما معاوية بن أبي سفيان فقد جاراهم واتخذ لنفسه من مواريث القيصرية والكسروية ما أدهش أمير المؤمنين وتعجب له . .

ويعتقد كثيرون أن هذه الكسروية هي التي أنجته من الاغتيال، لأن التاريخ يروي أن الخوارج أرسلوا له ولعمرو بن العاص من يغتالهما. كما أرسلوا للإمام على من يغتاله، وقد نجحت خطتهم في اغتيال الخليفة الراشد وحده لأنه لا حراس له، ولم ينجح من كُلِّفوا باغتيال معاوية ولا عمرو بن العاص لأن لهم حراسة أنجتهم؛ لذلك يمكن القول أن انتصار معاوية كان بفضل انتهاجه خطة كسروية لم يعرفها الخلفاء الراشدون . . ولم يكتف بذلك بل خلا له الجو باغتيال الإمام علي وتمكن من الاستيلاء بالقوة على الخلافة وتنكر لمبادئ الشورى التي سار عليها الخلفاء الراشدون وحوّل الخلافة إلى ملك عضوض له ولأسرته الأموية كما قال المؤرخون . .

إن انتصار معاوية كان في نظرنا انتصاراً للتقاليد الكسروية التي تبناها، رغم أنها تختلف عما سار عليه الخلفاء الراشدون من التزام بالشورى والمساواة التي قررها القرآن وبنيت عليها الخلافة الراشدة في المدينة .

لم يكتف أهل الأمصار بقتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ولكنهم أيضاً قتلوا الخليفة الثالث بعده عثمان بن عفان، والمؤرخون أفاضوا في شرح ذلك وبينوا أن وفوداً من الأمصار جاءوا إلى المدينة وحاصروا الخليفة وقتلوه. وهذه الوفود لم يعن المؤرخون ببيان إن كانت جاءت ارتجالاً أو جاءت بعواطف أو عواصف واندفاعات تلقائية أم أن هناك جهة هي التي نظمت هذه الثورة وأرسلتهم ليقتلوا الخليفة الثالث عثمان بن عفان كما قتلوا عمر بن الخطاب من قبله، المهم أن مقتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب والخليفة الثالث عثمان بن عفان كان على يد أهل الأمصار الذين أصبحوا جزءاً من أمة الإسلام، وإن كانت أغلبيتهم لم تعرفه، كما أنهم لم يعرفوا شيئاً في جاهليتهم اسمه الشورى ولا شيئاً اسمه الرقابة على الحكام أو محاسبة الملوك في بلادهم من قبل، وتحالف معها بنو أمية الذين بقيت فيهم نزعة العصبية القبلية والأسرية العربية .

بدأت بذلك ثورة معاوية على الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب، وأتمنى أن يجري بحث تاريخي واجتماعي لمعرفة الحاشية التي كانت وراء ثورة معاوية ونسبة نصارى الشام في جيش معاوية الذي جنَّده وذهب لمحاربة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وألزمه بالتحكيم الذي أدى إلى اغتياله، وإذا كان الذي اغتال علي بن أبي طالب من الخوارج الذين كانوا معه وانشقوا عليه بحجة قبوله التحكيم. فإن هؤلاء الخوارج كان مركزهم ومنشأهم في العراق وفي فارس ولذلك فإنني لا أبرئ رواسب الموروثات الجاهلية في البيئة الفارسية الكسروية من ذلك الاغتيال أو من أنَّ لها دوراً في مصرع الإمام علي بن أبي طالب وما تلاه من استئثار معاوية بالسلطة واحتكار «الأمويين» لها، وتحويلهم الخلافة الراشدة المبنية على الشورى واختيار الأمة ورقابتها ومساءلتها لحكامها إلى ملك عضوض متغلب ومستبد ومسيطر .

هذا الملك العضوض جاء من «الأمصار» واستغلته العصبية الأموية وكلاهما من رواسب الجاهلية الأولى وتحالفهما هو الذي أنهى حكم الشورى الذي ساد في المدينة بعد ثلاثين سنة

فقط من وفاة الرسول (ﷺ) وبقيت آثار الاستبداد السياسي في مجتمعنا حتى اليوم ولا زال الحكم الراشد والشورى الحرة التي أمر بها القرآن في كثير من البلاد أمراً بعيد المنال وأملا لم يتحقق، ومعنى ذلك أن رواسب الجاهلية في النظام السياسي واستبداد الحكام والسلطة المطلقة قد حولت الخلافة الشورية الراشدة إلى ملك عضوض منذ فجر الإسلام وفرضت الاستبداد السياسي بصور متعددة ومختلفة ما زلنا نعاني من آثارها وسيئاتها حتى الآن.

لذلك فإنه إذا كنا نريد أن نبدأ عهداً جديداً للسير نحو استعادة الإسلام لسيادة مبادئه على مجتمع ما فيجب أن يكون أول أهدافنا إعادة احترام مبدأ الشورى والمساواة التضامنية، والالتزام به لأنه هو المبدأ الأصيل الذي جاء به الإسلام والتزم به الخلفاء الراشدون وعطّله من جاءوا بعدهم بتأثير موروثات البلاد المفتوحة في فارس والشام ومصر، وتعددت آثارها في مجتمعنا واستمرت قروناً طويلة.

إن هذه الثغرة التي دخلت منها الموروثات الجاهلية في المجتمع الإسلامي سواء في بلاد العرب أو الأمصار الذين استطاعوا تحويل الحكم من خلافة راشدة أساسها الشورى إلى ملك عضوض خلال هذه الفترة، هذه الثغرة لم تقتصر آثارها على المجال السياسي، بل كان لها آثار بعيدة في المجتمع الإسلامي منذ ذلك التاريخ حتى اليوم والدليل على ذلك أن المسلمين لم يستطيعوا أن يغيروا هذا النظام السلطوي الاستبدادي الوراثي أو الانقلابي منذ ذلك التاريخ بل ربما نسوا ذلك وألفوا هذا النظام الكسروي الفرعوني القيصري وتعايشوا معه إلى حد ما في كثير من البلاد، ولم يكن هذا التعايش سهلا ولا ممكنا إلا لأن تعطيل الشورى كان في نظرنا بمثابة ورم سرطاني دخل في جسم المجتمع الإسلامي ولم يقف أثره عند حد إفساد نظام الحكم وإساءة استعمال السلطة من الحكام والولاة بل إن له آثاراً عديدة انتشرت وامتدت في كثير من جوانب مجتمعاتنا.. لابد من دراسة طويلة مستفيضة لكي نستكشفها ونعرف أبعادها وحدودها.

(٥٢) مسلسل التطور «العصري» :-

في بداية هذه الدراسة قلنا إن الفتن في العالم الإسلامي، كانت دائما فتناً داخلية، تشارك فيها عناصر من أمتنا وشعوبنا؛ وكان سببها مطامع شخصية أو عصبيات قبلية أو شعوبية أو

طائفية أو مذهبية . . لكن عوامل عصرية مستحدثة حولتها الآن إلى نوع جديد سميناه «الفتن العصرية» التي تشعل نارها قوى أجنبية تسعى لاستمرارها واستغلالها لمصالحها، وتستعين في ذلك بعملاء وأعوان لها سواء علموا ذلك أو لم يعلموه .

إن الفتن عندما تطورت في العصر الحديث قد زاد خطرها ونمت الطوائف الناشزة في عهد الاستعمار والاحتلال الأجنبي الذي استطاع أن يزيد منها ويستقطبها لجانبه ويستغلها لصالحه واحدة بعد أخرى، وساعده في ذلك وقام بالدور الأكبر في طائفة جديدة لم تعرفها الجاهلية الأولى، ولم يكن لها وجود في أي عصر من عصور تاريخنا الإسلامي، وهي النخب الثقافية والرأسمالية التي تعاونت معه ومكنها من السيطرة على كثير من مراكز القوى في مجتمعاتنا، هذه «النخب» تضم كثيراً ممن يسمون أنفسهم المثقفين بالثقافة العصرية أو ذوي المصالح التجارية والمالية، الذين فتنوا بما حصلوا عليه من مناصب أو من غنى أو ثروة أو ثقافة «عصرية» قطعت صلتهم بجماهير شعوبهم الفقيرة وعزلتهم عن منابع الثقافة الإسلامية الأصيلة بل حولتهم إلى أعداء لها وللجماهير التي لا تعرف غيرها؛ وصاروا أعداء لمن يدعون لها أو يدافعون عنها . . ذلك أنهم اقتنعوا بأن من مصلحتهم أن يفرضوا على شعوبهم الاندماج في المجتمعات الأوروبية والأمريكية ثقافيا واقتصادياً وسياسياً في عهد الاستعمار وفي عهد «العولمة» الحالي الذي تمكنت فيه الإمبريالية الأمريكية الصهيونية من السيطرة على شعوبنا وبلادنا، بل وشعوب العالم كله باسم النظام العالمي الجديد . .

إن الحكومات الاستبدادية في العصر الإسلامي قد أوجدت طوائف في المجتمع كان لها دور كبير في الضعف والتخلف الذي أصاب أمتنا؛ وهذا التخلف مكن الاستعمار الأوربي من الاستيلاء على كثير من أقطارنا، وإخضاع غيرها لنفوذه الاقتصادي والسياسي إذا لم يتمكن المستعمرون من احتلالها، ومكنه ذلك النفوذ من توسيع الثغرات التي أحدثتها رواسب الجاهلية الأولى حتى صارت خروقا واسعة استغلها لتمزيق أوطاننا وغرس بذور الفتن العصرية فيها، واتخاذ هذه الفتن كسلاح له لتعطيل نهضة

شعوبنا وتمزيق وحدتها حتى تبقى دولاً عديدة صغيرة متنافسة ومتنافرة وعاجزة عن مقاومته أو التحرر من سيطرته في عهد الاستقلال الوطني القطري المحدود الذي ما زلنا نواجه مساوئه ونقاسي من مصائبه ومشاكله التي لا تنتهي .

وكلما تطاول العهد واتسعت أسباب الحضارة والمدنية في مجتمعنا أحدث ذلك تطورا وتوسعا في أسباب النفاق والفساد الأخلاقي والجنسي ووسائله وطوائفه ، وما زال هذا التوسع ينمو في عهد الاحتلال الأجنبي حتى عم الفساد طوائف المترفين والمسيطرين الذين تسببوا في انحلال المجتمع وتخلفه وضعفه الذي أغرى الاستعمار بفرض سيطرته على بلادنا كلها وتمكن المنافقون العاملون لحسابه من احتلال مراكز القوى ووظائف الدولة حتى أصبحوا يعتبرون أنفسهم هم الدولة وسيطروا على بعض الحكومات الوطنية بعد ذلك في البلاد التي منحها الاستعمار استقلالا مقيدا . .

هذه الفتنة العصرية . علينا أن نبادر بالدراسة العميقة لنكتشف جذورها ومنابعها القديمة ثم نستعرض روافدها الحديثة

❋❋❋

obeikandl.com